معركة الأرمادا البحرية ١٥٨٨

أ.م.د. اياد طارق خضير العلواني
مديرية تربية الانبار

Naval Battle of the Armada 1588

Assistant Prof Iyad Tariq Khudair Alwani
Anbar Education Directorate
ayadta55555@gmail.com

ملخص البحث

معركة بحرية حدثت في النصف الثاني من القرن السادس عشر بين الاسطول البحري الاسباني والذي يطلق عليه أسم (الارمادا) ، والاسطول الانكليزي ، إذ نشبت تلك الحرب في بحر المانش ، وكانت هذه الحرب جزءا من الصراع الذي شهده القرن السادس عشر بين قوات ملكة انكلترا البروتستانتية (اليزابيث الاولى) وملك اسبانيا الكاثوليكي (فيليب الثاني) ، فكانت اسبانيا تأخذ الذهب والفضة من مستعمراتها في القارة الأمريكية ، وكانت إنجلترا تطمع في جزء من تلك الثروة ، وشجّعت الملكة إليزابيث الأولى البحّار (فرانسيس دريك) وغيره من المغامرين الانكليز للسطو على السفن والمستعمرات الإسبانية ، مما أدى الى التصادم المسلح بين الاسطولين ، فكانت النتيجة هزيمة أسطول الارمادا الكبير أمام الاسطول الانكليزي ، وان انتصار انكلترا في تلك المعركة كان بمثابة الخطوة الاولى لدخول انكلترا الميدان الاستعماري .

Summary

A naval battle took place in the second half of the sixteenth century between the Spanish navy, which is called the Armada, and the English fleet, as that war broke out in the English Channel, and this war was part of the conflict that took place in the sixteenth century between the forces of the Protestant Queen of England (Elizabeth I) and the Catholic King of Spain (Philip II), Spain was taking gold and silver from its colonies in the American continent, and England was greedy for a part of that wealth, and Queen Elizabeth I encouraged the sailor (Francis Drake) and other English adventurers to rob ships and colonies The Spanish, which led to an armed clash between the two fleets, and the result was the defeat of the Great Armada fleet in front of the English fleet, and it was the first step for England’s domination of the seas in the world.

أولا – اعتلاء الملكة اليزابيث العرش في انكلترا

كانت الاحوال في انكلترا مضطربة تمام الاضطراب عند اعتلاء اليزابيث عرش انكلترا وهي في سن الخامسة والعشرين ، اذ كانت انكلترا تعاني اضطراباً في أغلب نواحي الحياة بما فيها الانقسامات الدينية التي تسببت فيها ماري ستيوارت شقيقة الملكة اليزابيث ، ووفقت في أول أعوام حكمها أن تبعث الى الوجود الإصلاحات التي قام بها أبوها هنري الثامن من قبل ، واستطاعت ان تعلن قيام الكنيسة الانجليكانية كنيسة رسمية في بلادها[١].

يعتبر عهدها الطويل من أزهى عصور تاريخ انكلترا حتى ان المؤرخين اطلقوا على النصف الثاني من القرن السادس عشر (عصر اليزابيث)[٢]. وفيما يتعلق بالسياسة الدينية حرصت الملكة اليزابيث على انشاء كنيسة ذات شكل عبادة ثابت ونظام عقائدي يجب ان يكون قادرا على تقديم مجال حيوي واسع لكي يستطيع الجميع ان ينظموا اليه ، ومعظم السكان قبلوا الفكرة ، لكن بعض اولئك الذين ما زالوا يعترفون بسيادة البابوية عارضوا الفكرة[٣].

تجدر الاشارة إلى أن الملكة إليزابيث أتبعت سياسة حل وسط ، والتي تقضي بتدعيم صرح الكنيسة الأنجليكانية أو ما سماه بعض المؤرخين بنظام (إليزابيث الكنائسي) والذي يستند إلى قانونين : قانون السيادة العليا ، وقانون المذهب الواحد ، فالقانون الأول ألزم رجال الدين بأن يقسموا يمين الولاء والأعتراف بسلطان الملكة في شؤون الكنيسة ، وعدم الخضوع لأي سلطة أجنبية في جميع الشؤون الدينية والقضائية ، أما قانون المذهب الواحد فقد أقر نوع العبادة التي نظمها كتاب الصلاة الثاني الصادر عام ١٥٥٢[٤].

عارض المتعصبون الكاثوليك نظام الكنيسة الأنجليكانية حتى أن بعضهم عمد الى التآمر على الملكة اليزابيث للتخلص من النظام الانجليكاني ، إذ حرص هؤلاء الى التحالف مع فيليب الثاني ملك اسبانيا وبابا روما كي تنجح مخططاتهم ضد العرش[٥] . ويذكر ان البابا بيوس الخامس أصدر مرسوماً عام ١٥٧٠ لم يحرم الملكة إليزابيث من الكنيسة فحسب ، بل أحلَّ رعاياها من الولاء لها ، وحرّم عليهم الأمتثال لأوامرها وقوانينها ، وبالمقابل صدرت في انكلترا تشريعات تنص إعدام كل من يتهم الملكة بالهرطقة ومنشقة وطاغية ، أو إدخال مرسوم بابوي إلى انكلترا او التحول من البروتستانتية الى الكلثوليكية [٦] . ويقال أن الملكة اليزابيث حكمت بالموت على مائتي راهب ، وزجت عدداً غير قليل منهم في السجون وممارسة أشد انواع العذاب بحقهم[٧] .

ثانياً – الصراع بين اليزابيث وماري ستيوارت :

ظهر بداية هذا النزاع عندما برزت بوادر توتر العلاقة بين إليزابيث وبين ماري ستيوارت ملكة اسكتلندا ، التي كانت في فرنسا وكانت متزوجة من الملك الفرنسي فرانسوا الثاني وبعد وفاته عادت ماري إلى اسكتلندا وبدأت تحيك الدسائس والمؤامرت ضد إليزابيث [٨].

بعد عودتها الى مملكتها تزوجت من (إيرل وارنلي) ، وقد أثمر هذا الزواج الى انجاب (جيمس السادس) ، ويذكر أنها كانت قد اتخذت سكرتيرها الأيطالي عشيقاً لها ، اذ قام زوجها دارنلي بقتل غريمه في حضرة الملكة ، وبعد عام من تلك الحادثة قُتل دارنلي ، واعتقد الكثير ان زوجته قد حرضت على قتله ، إذ عزم النبلاء الأسكتلنديون تقديمها الى المحاكمة لكنها استطاعت من الهرب إلى أنكلترا [٩].

تجدر الأشارة إلى أن لجوء ماري ستيوارت الى إليزابيث لا طلباً للسلام ولكن رغبة في تنحية الملكة إليزابيث من العرش لتعتليه ، إذ بدأت تحيك المؤامرات مستعينة ببعض رجال البلاط ، وكبار الساسة في اوروبا فانكشف أمرها لدى إليزابيث ، فزجتها في السجن بتهمة التآمر [١٠].

حاولت الملكة إليزابيث أن تتفاوض مع ماري ستيوارت وهي في السجن مقترحة عليها شروطاً للسلام كأن تتنازل ماري عن عرشها لإبنها (جيمس السادس) لكنها رفضت ، وبات هناك من يشجعها على الزواج من الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا ، لذا أصبحت الملكة الأسيرة طيلة تسعة عشر عاماً (١٥٦٨-١٥٨٧) محوراً للتآمر الكاثوليكي ، والتي كان يغذيها كل من الملك الأسباني ، والبابا الذي أصدر قرار الحرمان بحق الملكة إليزابيث ، كما ساهم الكاثوليك الأنكليز المنفيون في الخارج في تلك المؤامرات ، وحين تم كشف أحد المخططات عام ١٥٨٧ لقتل الملكة إليزابيث ، وأن ماري ستيوارت ضالعة في تلك المؤامرة ، تقدم أعضاء مجلس العموم واللوردات ملتمسين بالأجماع إعدام ملكة اسكتلندا [١١]، إذ كان يرى البرلمان أن بقاء ماري على قيد الحياة معناه حياة إليزابيث في خطر دائم ، لأن ملك أسبانيا كان يسعى الى قتل إليزابيث ليضع ماري ستيوارت محلها ، إذ كانت له محاولة أولى لقتل الملكة عام ١٥٨٢ ، لذلك سعى الوزراء الى اقناع الملكة إليزابيث بضرورة قتل الملكة الأسكتلندية والتخلص منها [١٢]، تجدر الاشارة الى ان المؤرخين ذكروا بأن (أنتوني بابينجتون) كان المخطط الرئيسي لتلك المؤامرة ، إذ تجمع حوله مجموعة من الكاثوليك المتعصبين ، فضلاً عن اشتراك ماري ستيوارت في هذه المؤامرة بعد أن تم كشف بعض الرسائل المتبادلة بين المتآمرين وماري ستيوارت كانت قد أخفيت في براميل البيرة ، لذا تم إعدام (بابينجتون) وأتباعه في أيلول ١٥٨٦ ، وفيما يتعلق بماري ستيوارت تم عرضها على محكمة خاصة ، إذ اعترفت بتلك المؤامرة بعد أن واجهوها بالادلة [١٣] ، فما كان من ملكة أنكلترا الا التوقيع على قرار إعدامها ، إذ تم قطع رأسها في قلعة (فوذيرنجي) يوم ٨ شباط ١٥٨٧ [١٤] .

إزداد العداء بين إليزابيث وفيليب الثاني ملك إسبانيا بعد أعدام ماري ستيوارت ، وفي الوقت نفسه كانت إليزابيث تساعد الهولنديين في ثورتهم مع الملك الأسباني ، وتمدهم بالسلاح والمال فضلاً عن الدعم العسكري [١٥] ، وعلى ما يبدو فأن فيليب الثاني الكاثوليكي المتعصب كان ينظر إلى أنكلترا وقت وصول إليزابيث الى العرش واعتناقها المذهب البروتستانتي على إنها بلد يمكن كسبه ومصالحته ، ولم يكن فيليب يفكر في مهاجمة أنكلترا ورحب بأنتصار إليزابيث على الجيش الفرنسي الموجود في جنوب أسكتلندا إذ كان يطمح بأمكانية أتحاد انكلترا واسكتلندا وفرنسا تحت حكم ماري ستيوارت ملكة أسكتلندا ، على اعتبار أن انكلترا تحت حكم اليزابيث والتي ستشكل خطر ومنافس كبير له في المستقبل ، وبهذا ثبت أن المصلحة وفكرة التوازن الدولي كانت أقوى من التعصب المذهبي .

رأى الكاثوليك في شخص فيليب الثاني وسيلة لعودة الكاثوليك المعارضين إلى انكلترا ، فسعوا الى الاستعانة به ، وأرسلوا له الوفود لحثه على محاربه اليزابيث ملكة أنكلترا [١٦]، وكانت أسبانيا في موقف يسمح لها بقبول التحدي بعد موت ملك البرتغال سباستيات عام ١٥٨٠ وتلاشت أسرته ، فأدى ذلك الى ضم البرتغال إلى التاج الأسباني ، وبذلك انتقلت أملاك التاج البرتغالي في كل من شاطئ الاطلسي ، ومناجم البرازيل وجانبي أفريقيا والقواعد العسكرية في جزر البهار وجزر الهند الشرقية الى أسبانيا [١٧] .

بات الاصطدام وشيكاً بين انكلترا واسبانيا وينتظر الشرارة التي تشعل الحرب ، فكان العامل الأكبر في قيام الحرب هي المنافسة الملاحية في البحار والمغامرات التي كان يقوم بيها الملاحون المغامرون الأنكليز أمثال السيد (والتر رالي) وابن عمه (فرنسيس دريك) ، و(جون هوكنز) ، اذ طالما كانوا يمارسون القرصنة لسرقة الذهب والفضة والنفائس الأخرى من السفن والمستعمرات الأسبانية [١٨] ، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في المبحث اللاحق .

ثالثاً – حرب الأرمادا

حرصت الملكة اليزابيث على تجنب الصدام العسكري مع إسبانيا إلا أن المغامرين الانكليز كانوا يقومون بعمليات قرصنة ومهاجمة الأسطول الأسباني في طريق عودته وسرقة ما تحمله تلك السفن من خيرات العالم الجديد [١٩] ، أمثال فرنسيس دريك ورفاقه الاخرين إذ كان هؤلاء الملاحون المغامرون يعمدون إلى تخريب المستعمرات الأسبانية وسلبها[٢٠] ، وكما يبدو أن الانكليز حاولوا تحطيم النظام الأحتكاري لأسبانيا في العالم الجديد وجزر الهند الغربية [٢١] .

أستمر عمل رجال البحر الأنكليز لسنوات طويلة في مغامراتهم وجرأتهم ، وكانوا ينظرون بعين الحسد على كل من أسبانيا والبرتغال ، وعلى البابا أيضاً الذي تقاسم النفوذ في المستعمرات مع هاتين الدولتين ،

ونظروا إلى أعالي البحار على انها مناطق لا تخضع لسيادة أحد ، إذ كانت أنباء الكشوف الجغرافية وثروات العالم الجديد تصل إلى آذانهم ، ولقد رأى هؤلاء ضرورة استخدام القوة فسلَحوا أنفسهم واستعدوا لمنازلة الأسبان ، ففي سنة ١٥٦٧ وقعت معركة في ميناء (سان جوان) بعد أن قام الأسطول الأسباني المكون من ثلاثة عشر سفينة التعرض الى السفن الانكليزية المكونة من خمسة سفن إذ تحطمت ثلاثة منها ، لذلك حرص كل من هوكنز ودريك على الثأر من الأسبان حتى وأن عارضت الملكة إليزابيث القيام بذلك ، ويذكر أن دريك سيطر مدة ثمان وعشرين عاماً على البحار ، وكان قرصاناً لا تعترف دولته به رسمياً ، فقام بأعمال السطو على الموانئ والأساطيل الاسبانية في كل مكان ، فكان يهاجم السفن الأسبانية التي تحمل كنوز بيرو عند منطقة بنما وعلى شواطئ المحيط الهادي وعند جزر البهار[٢٢] .

يذكر أن البحّار (فرانسس دريك) كان قد أبحر في نيسان ١٥٨٥ من بليموث برفقة خمس وعشرين سفينة فدخل ميناء كاديس ، واصطدم مع السفن الأسبانية ، فدمر عشرات السفن وأستولى على إحدى أكبر السفن الأسبانية المسماة (سان فيلبي) ، وهي محملة بكنوز جزر الهند الشرقية [٢٣]، إذ كانت الأساطيل الأسبانية تنقل النفائس من ذهب وفضة من مناجمها في أمريكا الجنوبية فكانت تقوم برحلات سنوية منتظمة [٢٤].

عبر فرانس دريك المحيط الأطلسي في خمس وخمسين يوماً ، فوصل إلى الساحل الشمالي الشرقي من قارة أمريكا الجنوبية ثم تحول مساره جنوباً باتجاه مضيق ماجلان ، فبدأ يستولي على السفن الموجودة على طول السواحل هناك ، إذ وجد سفن تجارية للأسبان والفرنسيين واستولى على حموله تلك السفن من الذهب والفضة واللؤلؤ والأحجار الكريمة ، وسمع أن سفينة تسمى (caofogo) تحمل كنزاً ثميناً أبحرت بأتجاه بنما لأيصال حمولتها إلى أسبانيا ، فأستولى عليها ، لذا لاحقته بعض السفن الأسبانية باتجاه مضيق ماجلان لاعتراضه عند عودته ، لكنه أندفع باتجاه المحيط الهادي ، ثم جزر الهند الشرقية فعبر المحيط الهندي ، ثم رأس الرجاء الصالح فوصل إلى سواحل أنكلترا في حزيران ١٥٨٧ بعد رحلة دامت ثلاث سنوات محملاً بالكنوز التي أستولى عليها ، ولمجرد وصوله إلى نهر التايمز تدفق إليه الآلاف ، فعمت الأحتفالات والولائم جميع المدن الأنكليزية فسلمت الكنوز إلى الملكة اليزابيث[٢٥] ، بعد أن اعتلت ظهر السفينة ، ومنحت شرف الفروسية ولقب أدميرال الى البحار فرانس دريك تثميناً لما قام به[٢٦] .

بعد هذه الحادثة أقترح الملك الأسباني فيليب الثاني أرسال اسطول الأرمادا في أيلول من نفس العام للانتقام من القراصنة الانكليز ، لكن خبراء البحر نصحوه بعدم التسرع بسبب هبوب رياح تعيق تقدم السفن[٢٧] .

ومن الجدير بالذكر أن الملكة (ماري ستيوارت) أعترفت قبل وفاتها بفيليب رسمياً خليفاً لها، وبحقه في المطالبة بعرش انكلترا فدعا رعاياه الى التأهب لغزو أنكلترا [٢٨] ، ومما أجج الموقف اكثر إصدار الكردينال (آلن) عام ١٥٨٨ منشوراً حث فيه الأنكليز الكاثوليك بمساندة الهجوم المرتقب من قبل أسبانيا على أنكلترا واصفاً الملكة إليزابيث بأنها أبنة زنا ، ومتهماً إياها بأنها باعت جسدها ولوثته مع (ليستر) وكثيرون غيره ، ودعاهم إلى الوقوف بوجه هذه الهرطقيه اللعينة الفاسقة – حسب وصفه إياها –، ووعد بالغفران كل من يساهم في خلع الملكة[٢٩] .

صمم الملك فيليب على غزو أنكلترا تنفيذاً للحقوق الممنوحة له ، وأخذ بثأر (ماري ستيوارت) ومعاقبة (إليزابيث) لدعمها الهولنديين من جهة ، والهجمات المستمرة التي ينفذها القراصنة الأنكليز ضد السفن الأسبانية من جهة أخرى[٣٠] ، وقد قام الملك فيليب بتجهيز أسطول حربي ضخم أطلق عليه أسم الأرمادا ، وكان على الأنكليز مجابهة الخطر المقبل بما لديهم من قوة ، إذ كان الأسطول الانكليزي يتألف من سفن صغيرة الحجم ، ولكن قادته كانوا من البحارة الأكفاء[٣١] .

بدأ تجمع الأسطول الأسباني في آذار ١٥٨٨ بقيادة الدوق (ميدينيا سودينيا) قرب مدينة لشبونة وميناء كاديس جنوب شرق أسبانيا ، وكان الملك (فليب) يثير الحماس لدى جيشه ورفعت الصلبان في مقدمة السفن[٣٢] ، وكانت الخطة تقتضي أن يتقدم ألاسطول في بحر المانش إلى دنكرك ونيوبورت ، ومن هناك ينقل جيش بارما إلى أنكلترا فيقوموا بخلع الملكة إليزابيث ، وتنصيب مكانها أبنة الملك فيليب الثاني مكانها[٣٣] .

لم يكتفِ الملك ألاسباني بمواطنيه ضمن هذه الحملة فقد جمع بحارة من البرتغال ونابولي ولمبارديا ، ومناطق أخرى من إيطاليا[٣٤] ، فضلاً عن أعداد كبيرة من الكاثوليك الأنكليز المعارضين ، وتم أرسال ما يقارب (٦٠٠) من القساوسه بهدف تحويل المجتمع الانكليزي من البروتستانية الى الكاثوليكة في حال هزيمة أنكلترا في تلك الحرب[٣٥] .

بدأت الأخبار تصل إلى أنكلترا بأن الملك الأسباني فيليب الثاني جمع اسطولاً كبيراً لغزو أنكلترا ، وبذلك وُضعت البلاد في حالة ذعر شديد لمعرفتهم المسبقة بأن الأسطول الأسباني هو سيد المحيط وليس أنكلترا ، فأسبانيا تملك المستعمرات والتجارة الخارجية ، فضلاً عن مرافئ بناء السفن الكبيرة المسلحة ، بينما أنكلترا لا تمتلك إلا السفن الصغيرة[٣٦] .

بدأت انكلترا ألاستعداد لملاقاة العدو ، فقرر مجلس الحرب في انكلترا أن الاماكن الاكثر ملائمة لنشر القوات القتالية هي ميلفورد وبلايموث وفالموث وجزيرة وايت ، وبورتسموث ثم مصب نهر التايمز ، والى

جانب القوات البرية التي وزعت على الاماكن المذكورة جُهز أسطول تحت قيادة الادميرال (أفينكهام) للانظمام الى (فرانس دريك) في القناة ، وأنيط باللورد هنري سيمور قيادة أربعين من السفن المرابطة في ساحل الفلاندرز لمراقبة تحركات دوق بارما [٣٧] .

ويذكر أن الانكليز بدأوا ببناء السفن من خلال استغلال أخشاب الغابات ، وتم أشراك سفن الصيد ضمن ألاسطول الأنكليزي الذي بدأ المرابطة في كل من ميناء بلايموث البحري الكبير ، وقسم من القوة البحرية كانت ترابط عند قناة قرب مضيق دوفر ، إلى جانب حشد من الجيش تعداده عشرون الفاً من الرجال موزعة على طول السواحل الجنوبية من أنكلترا ، فضلاً عن مرابطة عدد من القوات الأنكليزية عند مصب نهر التايمز ، خشية من أختراقه من قبل البحرية ألاسبانية ، ويذكر أن الملكة إليزابيث استعرضت بعربتها شخصياً القطعات العسكرية ووجهت خطاباً لإثارة الحماس بين صفوف القوات المدافعة ، وذكرت أنّ بعض الوزراء حذروها من الثقة الكبيرة بالنفس وذلك بسبب الفارق الكبير بين القوتين ومما جاء في خطابها : ((إذا كان الملك فيليب يظن ان الملكة ضعيفة ومتعبة أقول له أن لي قلب ملك ، وانا جاهزة وفي مقدمة جيشي نعيش أو نموت معاً))[٣٨] .

حاول دوق بارما إقناع الملك فيليب عقد صلح وسلام بين الجانبين ، ويشير أحد المؤرخين بأن الهدف من ذلك بعث رسالة أطمئنان للأنكليز بينما يبحر أسطول الأرمادا إلى الأراضي الأنكليزية ، إلا أنّ الملكة إليزابيث تعرف طبيعة ومبادئ كنيسة روما وفهمت غايات الملك فيليب ، إذ أجتمع الوفدين المفاوضين في فلاندرز وناقشوا مسائل شتى ، ويذكر المؤرخ انّ دوق بارما كان يعلم أن هناك نية لغزو أنكلترا ، ويعلم تمام المعرفة أن مظاهر التسلح في موانئ أسبانيا تعتزم اتخاذ اجراء عسكري ضد أنكلترا[٣٩] . وكما يبدو ان المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود دون التوصل إلى أتفاق بسبب التسويف والمماطلة من قبل المفاوضين من الجانب ألاسباني ، بينما أسطول الأرمادا يتجه لغزو أراضي أنكلترا[٤٠] .

بدأت ترد بعض المعلومات الاستخباراتية عن وصول الأرمادا في ١٩ تموز ١٥٨٨ مشارف السواحل الإنكليزية، إذ وقع أول تصادم يوم ٢١ تموز بعدما هاجمت السفن الأنكليزية صغيرة الحجم مؤخرة اسطول الأرمادا ، وتم أسر احدى السفن الأسبانية من قبل القائد دريك[٤١] . وفي يوم ٢٣ تموز كانت الرياح شمالية غربية وكان عدد من السفن الأسبانية بمواجهة بعض السفن الأنكليزية ، فحدثت صدامات بين الطرفين ، أجبرت عدد من السفن الأسبانية على الأستسلام[٤٢] ، وأثناء المعارك في تلك الليلة تغير أتجاه الرياح من شمالية غربية إلى جنوبية شرقية إذ ساهم تغير الرياح الى حفظ ما تبقى من السفن الأسبانية[٤٣] .

يذكر أن السفن الأنكليزية كانت تعاني من نقص الذخيرة ، فكان يتم الأستفادة من السفن الأسبانية المنهزمة ، وخلال الأيام الأخيرة من شهر تموز ١٥٨٨ حدثت معارك عنيفة بين الجانبين عند مضيق دوفر لا سيما يوم ٢٩ تموز ، إذ احترقت العديد من السفن الأسبانية بسبب شدة المعارك ، وكانت الرياح العاصفة والمد والجزر أيضاً سبباً في الهزيمة والفوضى التي سادت في أسطول الأرمادا ، وباتت السفن تتصادم فيما بينها عندما بدأت بالأنسحاب[٤٤] ، ولم يعد القادة الأسبان يفكرون أختراق نهر التايمز بعد تحطم العديد من سفن أسطولهم ، وتوصلوا إلى قناعة أستحالة العودة إلى أسبانيا عبر القناة ، لذا بدأوا بالتوجه الى الجزء الشمالي من أنكلترا متحملين البرودة الشديدة والرياح العاصفة التي حطمت الأرمادا على الصخور[٤٥] ، فلم يبقَ من الاسطول الاسباني سوى النصف نتيجة الهزيمة التي لحقت بالأسطول على يد البحرية الأنكليزية[٤٦].

تابعت السفن الأنكليزية أسطول الأرمادا أثناء فراره ، وصارت تتعرض إلى سفنه فكانت تطاردهم إلى الشمال كقطيع الغنم وكما يصف الموقف المؤرخ (جون نوكس)[٤٧] ، إذ راح (دريك) و(هوكز) و(فرويش) وغيرهم من البحارة الانكليز يحطمون السفن الأسبانية ويشتتونها[٤٨] إلى الجزر الأسكندنافية بعد أن سادها الأرتباك ، ويذكر أن مرض الطاعون قد أنتشر بين البحارة الأسبان ففتك بالالآف منهم[٤٩] . وبعد هزيمة الأرمادا لم يجرؤ دوق بارما بالهجوم على السواحل الأنكليزية بعد أن أيقن بهزيمة أسطول الأرمادا ، مثلما كان مخططاً له فبعد أن يهزم الأنكليز يتم عزل إليزابيث وتعيين إبنة فيليب مكانها ملكة على أنكلترا[٥٠] .

أستمر الأسطول الأنكليزي في ٩ آب بالتحري عن مصير الأرمادا وتتبع أخباره ، إذ بقيت البحرية الأنكليزية حذرة ، وبقيت على هذا الحال حتى آواخر آب بعد زوال الخطر[٥١] ، ويذكر أن ما تبقى من أسطول الأرمادا غادر القناة النرويجية بأتجاه الجزر الأسكتلندية في الشمال لأجل العودة إلى السواحل الأسبانية[٥٢] .

فشلت الخطة الأسبانية وعجزت سفنها الكبيرة عن مواجهة الأسطول الأنكليزي على صغر سفنه والتي تفوقت في الحركة والسرعة فتشتت الأرمادا ، وأنهزم الأسبان بعد معركة كبرى ، ومن نجا من سفن الأسطول حطمته العواصف الشديدة التي هبت في بحر الشمال والمحيط الأطلسي ، ولم يعد من أسطول الأرمادا الضخم إلى سواحل أسبانيا سوى (٥٤) سفينة غير صالحة للقتال [٥٣] .

وهكذا أنتهت سيادة أسبانيا على البحار وتحطمت آمال الكاثوليك الأنكليز والأسكتلندين وروما من عودة ألانكليز إلى المذهب الكاثوليكي ، فتوطدت الكنيسة الأنجليكانية في أنكلترا[٥٤] ، وخرجت أنكلترا ظافرة بعد تلك المعركة الحاسمة ، وأصبحت القوة البحرية العظمى بعد معركة الأرمادا ، لا سيما في المحيط

الأطلسي[٥٥] ، وقد أفضى هذا الأنتصار لأنكلترا الدخول في الميدان الأستعماري ولكنها لم تستأنف نشاطها في هذا المجال إلا بعد عشرين عاماً[٥٦] .

فشلت حملة الملك الأسباني فيليب الثاني لغزو أنكلترا ، والتي يمكن التوصل إلى أستنتاجات لمعرفة الأسباب الحقيقية لفشل تلك الحملة ، وعوامل ساهمت في هزيمة الأسبان في تلك المعركة ، إذ بات من الواضح أن تحرك الأسطول الأسباني تم بعد أن أيقن فيليب الثاني أن المنافسة الأستعمارية من قبل الأنكليز أصبحت تهدد المستعمرات والقوافل التجارية للبحرية الأسبانية ، وذلك عندما عجز الأسبان من النيل من البحّار الأنكليزي (فرنس دريك) وابن عمه (هوكز) الذين طالما هددوا السفن الأسبانية وسرقوا حمولتها من الكنوز الثمينة التي كانت تنقل من المستعمرات إلى أسبانيا ، فلم يكن الدافع الديني لنصرة روما والكنيسة الكاثوليكية ، ولا بسبب الثأر للملكة الأسكتلندية ماري ستيوارت ، أما أسباب هزيمة أسطول الأرمادا فيمكن ذكر عدد من الأسباب والعوامل منها حجم السفن الأسبانية الثقيلة والبطيئة في الحركة ، كان يقابلها سفن الأسطول الأنكليزي صغير الحجم ، والتي كان يقودها رجال مهرة في ركوب البحر ، والعامل الآخر عوامل الطبيعة من مدٍ وجزرٍ ، وعواصف عاتية حطمت الأسطول الأسباني على صخور شواطئ أيرلندا وأسكتلندا ، كذلك لا ننسى ثبات الملكة إليزابيث ورباطة جأشها وهي تتقدم جنودها مضحية بحياتها لترفع من روحهم المعنوية فحتى الكاثوليك الأنكليز الذين كانوا يأمل من خلالهم الملك الأسباني قاتلوا ببسالة إلى جانب ملكتهم .

هوامش البحث

١. زينب عصمت راشد ، تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر ، دار الفكر ، القاهرة ، ص ١٣٥ .
٢. عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين ، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، دار الفكر ، مدينة نصر ، ١٩٩٩ ، ص ١٩٨ .
٣. أشرف صالح محمد سيد ، أصول التاريخ الاوربي الحديث ، دار ناشري ، الكويت ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣٢ .
٤. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .
٥. المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .
٦. رامزي كلارك وآخرون ، الامبراطورية الامريكية صفحات من المضي والحاضر، مكتبة الشروق ، ص ٢٨-٢٩ .
٧. جفري برون ، تاريخ أوربا الحديث ، الاهلية للنشر ، ٢٠٠٦ ، ص ١٩٨ .
٨. عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط٣ ، دار المريخ ، السعودية ، ١٩٩٣ ، ص ١٤٥ .
٩. هربرت فيشر ، ص ٢٢٦ .

١٠.زينب عصمت ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
١١.هربرت فيشر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
١٢.جفري براون ، المصدر السابق ، ٢٠١ .
13. Mandell Creighton, M.A. , Epochs of Modern History , The Age Of Elizabeth , London , 1888 , P173 .
١٤.فيشر ، المصدر السابق ، ٢٢٧ .
١٥.عبد العزيز سليمان ، المصدر السابق ، ٢٠١ .
١٦.عبد الفتاح حسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
١٧.فيشر ، المصدر السابق ، ٢٢٨ .
١٨.عبد العزيز سليمان ، المصدر السابق ، ٢٠١ .
١٩.زينب عصمت ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
٢٠.عبد العزيز سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
٢١.جلال يحيى ، أوربا في العصور الحديثة ، دار الفجر ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٤٨٧ .
٢٢.المصدر نفسه ، ص ٤٨٩ .
23. Mandell Creighton, M.A. , OP.CIY , pp174-175 .
24. Ibid , p175 .
25. Jacob Abbott, History Of Queen Elizabeth, New York ,1877 , PP220-221 .
26. Jacob Abbott , History Of Elizabeth Queen Of Ngland , 1900 , P199 ؛ Jacob Abbott , Famous Queens Of History , Queen Elizabeth , The Werner Company Book Manufacturers Akron, Ohio , pp174-176 .
27. Edward Spencer Beesly , Queen Elizabeth , , London , 1906 , p190 .
٢٨.فيشر ، المصدر السابق ، ٢٢٨ .
٢٩.رامزي كلارك وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .
٣٠.جفري برون ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
٣١.عبد العزيز سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
32. Martin Hume, M.A. , Two English Queens And Philipp , London ,1909 , pp278-279 .
٣٣.فيشر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .
34. John Knox Laughton, M.A., R.N. , State Papers Relating To The Defeat Of , The Spanish Armada (1588),1894 , vol 1 , p3 .
35. Thomas Lathbury , M.A , THE Spanish Armada , A.D. 1588; Or, The Attempt Of Philip II. And Pope sixtus V. To RE-Establish popery In England , London , 1840 , p32 .
36. Jacob Abbott , History Of Elizabeth Queen Of Ngland , 1900 , pp200-201 .

37. Thomas Lathbury , M.A , Op.Cit , pp55-56 .
38. Jacob Abbott, History Of Queen Elizabeth, New York ,1877 , PP224-226 .
39. Thomas Lathbury , M.A , Op.Cit , pp48-50 .
40. John Knox Laughton, M.A., R.N. , Op.Cit , vol 1 , p3 .
41. Thomas Lathbury , Op.Cit , pp73-74 .
42. John Knox Laughton, Op.Cit , vol 1 , p10 .
43. James Anthony Froude , English Seamen In The Sixteenth Century , New York , 1895 , pp218-219 .
44. Thomas Lathbury , Op.Cit , pp78-79 .
45. Jacob Abbott , History Of Elizabeth Queen Of Ngland , 1900 , p 207 .
46. Jacob Abbott , Famous queens of History , Queen Elizabeth , The Werner Company Book Manufacturers Akron, Ohio , p 184 .
47. John Knox Laughton, Op.Cit , vol 2 , p 81 .
٤٨.فيشر ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ .
49. Martin Hume, M.A. , Two English Queens And Philipp , London ,1909 , p 283 .
٥٠.جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص ٤٩٢ .
51. Thomas Lathbury , M.A , THE Spanish Armada , A.D. 1588; Or, The Attempt Of Philip II. And Pope sixtus V. To RE-Establish popery In England , London , 1840 , p 89 .
52. Thomas Lathbury , M.A , THE Spanish Armada , A.D. 1588; Or, The Attempt Of Philip II. And Pope sixtus V. To RE-Establish popery In England , London , 1840 , p 404 .
٥٣.عبد العزيز سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
٥٤.عبد الفتاح حسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
55. C. D. Penn, M.A. Land. The Navy Under The Early Stuarts And Its Influence On English History , 1913 , p 2 .
٥٦.عبد العظيم رمضان ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .